المجلد الخامس، العدد الرابع، 170:161
كانون الأول (2023)

بحث رقم 3

خطاب التبرير
تحليل حجاجي ودراسة من منظور دراسات التحليل الناقد للخطاب
خطبة أبي جعفر المنصور بعد قتله أبا مسلم الخراساني نموذجًا

Apologia Discourse
An Argumentative Analysis and Study from the Perspective of Critical Discourse Analysis
The Speech of Abu Ja'far al-Mansur Following the Execution of Abu Muslim Al-Khorasani as a Model

وجدي "محمد درويش" قطب[1]، محمد جواد النوري[2]

Wajdi "Mohammad Darweesh" Qotob[1], Mohammad Jawad An-Nori[2]

[1] طالب دكتوراه في اللغة العربية وآدابها- جامعة النجاح الوطنية- فلسطين

[2] أستاذ العلوم اللغوية- جامعة النجاح الوطنية- فلسطين

[1] PhD student in Arabic Language and Literature, An-Najah National University, Palestine

[2] Professor of Linguistics, An-Najah National University, Palestine

[1] Wajdi.qotob.1989@gmail.com, [2] Mjnouri3@gmail.com

Received استلام البحث	Revised مراجعة البحث	Accepted قبول البحث
2023/12/2	2024/1/10	2024/1/15

DOI: https://doi.org/10.31559/JALLS2023.5.4.3

This file is licensed under a *Creative Commons Attribution 4.0 International*

رفاد REFAAD
www.refaad.com

International Journal for Arabic Linguistics and Literature Studies (JALLS)

المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية

Journal Homepage: https://www.refaad.com/Journal/Index/6

E-ISSN 2663-5860 | P-ISSN 2663-5852

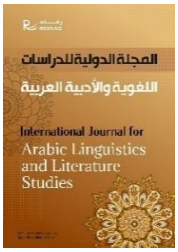

خطاب التبرير
تحليل حجاجي ودراسة من منظور دراسات التحليل الناقد للخطاب
خطبة أبي جعفر المنصور بعد قتله أبا مسلم الخراساني نموذجًا

Apologia Discourse
An Argumentative Analysis and Study from the Perspective of Critical Discourse Analysis
The Speech of Abu Ja'far al-Mansur Following the Execution of Abu Muslim Al-Khorasani as a Model

الملخص:

الأهداف: تتناول هذه الدراسة، بالدرس والتحليل، خطاب التبرير وفق نظرية الحجاج اللغوي ومن منظور دراسات التحليل الناقد للخطاب، من خلال تحليل البنية الحجاجية للخطاب وبيان أهم الاستراتيجيات الحجاجية التي يتضمنها من حيث الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية والسلم الحجاجي، ثم تحليل المحتوى الخطابي وتفسيره وفق فلسفة دراسات التحليل الناقد للخطاب التي تتغيّا الكشف عن شطط السلطة ومحاولة فرض الهيمنة بوساطة الخطاب من أجل تغيير القناعات أو المعتقدات أو السلوكات، وستتخذ هذه الدراسة من خطبة أبي جعفر المنصور بعد قتله أبا مسلم الخراساني نموذجًا تطبيقيًا على ذلك.

المنهجية: لتحقيق ما سبق من الأهداف انتهجت الدراسة بداية التحليل الحجاجي اللغوي لمحتوى الخطبة وفق نظرية التداولية المدمجة، ثم تفسيره من منظور دراسات التحليل الناقد للخطاب.

خلاصة الدرسة: خلصت هذه الدراسة إلى أن أبا جعفر المنصور حاول شرعنة واقعة القتل في خطابه الذي ألقاه بعد إعدامه أبا مسلم الخراساني بوساطة استخدام تقنيات حجاجية متنوعة كالعوامل الحجاجية والروابط الحجاجية والسُّلّم الحجاجي، التي شكلت بمجموعها نسيجًا خطابيًا حجاجيًا أدى دورًا مهمًا في عملية شرعنة حادثة القتل هذه، لذا فالباحث يؤكد على أهمية دراسة الحجاج اللغوي من منظور فلسفة التحليل الناقد للخطاب بغية الكشف عن تمثلات السلطة والهيمنة في الخطاب، ودوره في تغيير القناعات والمعتقدات.

الكلمات المفتاحية: *الخطاب السياسي؛ الحجاج؛ التداولية؛ تحليل الخطاب النقدي.*

Abstract:

Objectives: This discussion, through study and analysis, delves into the discourse of justification in accordance with the theory of linguistic argumentation and from the perspective of critical discourse analysis. It achieves this by scrutinizing the argumentative structure of discourse and elucidating the paramount argumentative strategies it encompasses. Subsequently, it undertakes an analysis of the discursive content, interpreting it in accordance with the philosophy of critical discourse analysis, which endeavors to unveil the excesses of power and the attempt to establish dominance through discourse, for the purpose of altering convictions, beliefs, or behaviors. This study will take the oration of Abu Ja'far al-Mansur following the assassination of Abu Muslim al-Khorasani as a practical exemplar thereof.

Methods: To realize the aforementioned objectives, the study initially adopts the linguistic argumentation analysis of the speech's content, guided by the integrated discourse theory. It subsequently interprets the content from the perspective of critical discourse analysis studies.

Conclusions: This study concludes that Abu Ja'far al-Mansur sought to legitimize the incident of the assassination in his discourse delivered following the execution of Abu Muslim al-Khorasani, employing a diverse array of argumentative techniques such as argumentative factors, argumentative links, and the argumentative ladder. These collectively constituted an argumentative and discursive fabric that played a significant role in the legitimation of this homicide incident. Therefore, the researcher underscores the importance of studying linguistic argumentation from the perspective of the philosophy of critical discourse analysis, aiming to expose manifestations of power and dominance in discourse and its role in altering convictions and beliefs.

Keywords: *Political discourse; argumentation; discourse analysis; argumentation theory.*

المقدمة:

تتناول هذه الدراسة خطاب التبرير (Apologia Discourse) بوصفه خطابًا دفاعيًا يحاول منتج الخطاب بوساطته الدفاع عن وجهة نظره أمام المتلقي تجاه قضية ما، خاصة تلكم القضايا والموضوعات التي قد تثير حفيظة الجمهور وتجعله يشعر بعدم الارتياح مما يؤدي إلى إثارة الجدل والانتقاد، لذا يهدف هذا النوع من أنواع الخطاب إلى تبرير موقف أو سلوك عبر توفير مجموعة من الحجج والاستراتيجيات الخطابية التي تهدف إلى إقناع المتلقي بالمحتوى الخطابي لمواجهة التصورات السلبية أو الاتهامات.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في تحليل خطاب التبرير وبيان الإستراتيجيات الحجاجية التي يستخدمها منتج الخطاب في سبيل تغيير قناعات المتلقي ومعتقداته، ويمكن صياغة مشكلة الدراسة بالتساؤلات التالية:

- ما التقنيات الحجاجية التي تُستخدم في خطاب التبرير؟
- ما الاستراتيجيات الخطابية التي يتضمنّها هذا الخطاب؟
- ما دور الخطبة في تغيير قناعات الناس ومعتقداتهم؟
- كيف يمكن الإفادة من دراسة هذا النوع من الخطابات في خلق "وعي نقديّ" لدى الأفراد؟
- هل نجح أبو جعفر المنصور في شرعنة إعدامه أبا مسلم الخراساني؟

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من مجموعة من النقاط، يمكن إيجازها فيما يلي:

- تندرج هذه الدراسة تحت إطار دراسات التحليل الناقد للخطاب، هذا المنهج اللساني ذو التوجّه الاجتماعي الحديث نسبيًّا الذي يسعى إلى دراسة الخطاب وتفكيكه وبيان مظاهر شطط السلطة وفرض الهيمنة والسيطرة على المتلقي، ومن ثَمَّ، خلق وعي نقدي لدى الأفراد من أجل مقاومة هذه الخطابات السلطوية.
- تزاوج هذه الدراسة بين التحليل الحجاجي للخطاب وفق نظرية التداولية المدمجة أو ما تسمى بـ"نظرية الحجاج اللغوي" التي نظّر لها (ديكرو)، وفلسفة دراسات التحليل الناقد للخطاب التي تفسّر استخدام تقنيّات بعينها من أجل دعم توجّهات سلطوية مهيمنة داخل الخطاب.
- يرى الباحث أن مسألة خلق "وعي نقدي" لدى الأفراد لهو أمر جدير بالدرس خاصة في أوقات الأزمات السياسية والاجتماعية.
- يتناول هذا البحث خطابًا تراثيًّا، وهو خطبة أبي جعفر المنصور بعد إعدامه أبا مسلم الخراساني، الأمر الذي يؤكد على الاهتمام بالمنقولات التراثية ودراستها وفق المناهج اللسانية الحديثة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

- الكشف عن تجلّيات الممارسات السلطوية في الخطاب.
- تقديم جانب نظري وجانب تطبيقي في دراسات التحليل الناقد للخطاب للباحثين والمهتمّين بهذه الدراسات النقدية الحديثة.
- بيان أثر استخدام التقنيات الحجاجية المتنوعة في تغيير معتقدات الأفراد وسلوكاتهم ووجهات نظرهم حول مسألة معينة.

الدراسات السابقة:

لم يقع الباحث، في حدود ما اطّلع عليه، على دراسات أو مقالات علمية في المصادر والمراجع العربية تتناول خطاب التبرير (Apologia Discourse) من منظور دراسات التحليل الناقد للخطاب ووفق التحليل الحجاجي للنظرية التداولية المدمجة التي نظّر لها (ديكرو)، لذا فهذه المقالة العلمية أصيلة في بابها ويمكن أن تكون مرجعًا لما سيأتي بعدها من دراسات بمشيئة الله تعالى، ولكن يمكن الإشارة إلى دراستين قد تتقاطعان في بعض الجوانب مع هذه الدراسة، الأولى بعنوان "إستراتيجية التبرير في خطاب النظام السياسي لمواجهة الأزمات، حادث أسيوط نموذجًا، دراسة مقارنة بين صحف الأهرام و"الحرية والعدالة" والتحرير" لسهير عثمان عبد الحليم، وقد صدر هذا البحث في (المجلة العربية لبحوث الإعلام والاتصال)، العدد (1) سنة 2013م، وهي تدرس إستراتيجية التبرير من منظور إعلامي دون التطرق إلى نظرية الحجاج اللغوي، والدراسة الثانية بعنوان "النظرية النقدية للعدالة في سياق التبرير نموذج راينر فورست" لمحمد الأشهب، وقد صدر هذا البحث في مجلة (تبيُّن)، المجلد (11) العدد (43) سنة 2023م، التي درست مسألة التبرير من منظور فلسفي بحت، لذا فدراستنا تنماز عن تينك الدراستين في كونها تتناول الخطاب وفق نظرية الحجاج اللغوي وتحليله من منظور دراسات التحليل الناقد للخطاب.

خطة الدراسة:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة ذكر فيها موضوع الدراسة، ومسوغها، ومشكلتها، وأهدافها، ومنهجها، وأهميتها. ثم مدخل جاء فيها الباحث على فرش نظري حول منهجية الحجاج اللغوي التي نظّر لها (ديكرو)، ثم انتقل الباحث إلى الجانب التطبيقي من هذه المقالة حيث وقع الاختيار على خطبة أبي جعفر المنصور التي حاول فيها شرعنة قتله أبا مسلم الخراساني، وأخيرًا انتهت الدراسة بخاتمة تبين أهم النتائج التي توصل لها الباحث.

مدخل:

يُعنى الحجاج باعتباره مبحثًا لغويًا[1] بدراسة كل ما له علاقة بطريقة إيصال الرسالة والاستراتيجيات المستخدمة لتحقيق هذا الهدف، وفهم دلالاتها في السياق الذي ترد فيه، لذا يعدّ الحجاج مبحثًا مهمًا من مباحث الدرس التداولي (حباشة، 2008، صفحة 7)، حيث "انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسسها أوستين وسيرل" (العزاوي، 2006، صفحة 15)[2]، بل "من الطبيعي أن تكون التداوليات ذات طبيعة حجاجية بامتياز، ما دامت تستند إلى ثنائية المتكلم والمتلقي" (حمداوي، 2019، صفحة 13). وينطلق المبدأ الحجاجي من أن "حقيقة الخطاب ليست مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادّعاء والاعتراض، بمعنى أن الذي يحدّد ماهيّة الخطاب إنما هو العلاقة الاستدلالية، وليس العلاقة التخاطبية وحدها: فلا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطِب (بكسر الطاء) من غير أن تكون له وظيفة المدّعي، ولا مخاطَب (بفتح الطاء) من غير أن تكون له وظيفة المعترض" (طه، 1998، صفحة 226).

واضع أسس هذه النظرية اللغوية الفرنسي (أوزفالد ديكرو/Oswald Ducrot) (العزاوي، 2006، صفحة 14)[3]، الذي بنى نظريته على مبدأ "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير" (العزاوي، 2006، صفحة 14)، وينبني على قوله هذا أمران؛ الأول أن الحجاج اللغوي لا يتمّ إلا عبر عملية تواصلية تنشأ على الأقل بين طرفين من خلال استخدام اللغة، وأما الأمر الآخر فيتمثّل في أن هدف المرسل إقناع المتلقي برسالة ما والتأثير فيه، ومن هذا المنطلق تغدو اللغة أداة من أدوات السلطة، ذلك أن الحجاج بنية لغوية منطقية، تتضافر فيها مجموعة من العناصر لغاية التأثير في المتلقي واستمالته إلى تغيير معتقد أو سلوك، ومن ثم، إنجاز شيء ما (جودي، 2013، صفحة 107)، ويؤكد ذلك أبو بكر العزاوي، فنحن، على حدّ قوله، "نتكلم عادة بقصد التأثير، وهي تحاول [النظرية الحجاجية] أن تبين أن اللغة تحمل، بصفة ذاتية وجوهرية، وظيفة حجاجية...وتنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة، أي القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي" (العزاوي، 2006، صفحة 8).

فالحجاج من حيث مفهومه العام عملية فكرية ذات هدف إقناعي موجه للتأثير في آراء المخاطَب وسلوكاته للحصول على عمل ما أو الإعداد له، و"الخطاب الحجاجي يتميز عن باقي الخطابات الأخرى بكونه خطابًا مبينًا وموجهًا وهادفًا" (عشير، 2006، صفحة 128)، ومن أجل دراسة التأثير اللغوي وفعاليته الحجاجية لا بد من إدراك ملابسات السياق، وتفاعل المعاني مع مقام التواصل، فهناك أساليب تهدف إلى "خلق دلالات ومعاني من داخل القول ككل، في علاقته بالظروف المقامية، والمعرفية، والعقلية، والنفسية وغيرها... وهذه المعاني المنتجة ترتبط في غالب الأحيان بطبيعة اللغة المستعملة، بما تحمله، بالإضافة إلى الجوانب التركيبية والمعجمية والأسلوبية، من قيم ثقافية، ودينية، واجتماعية، ونفسية" (عشير، 2006، صفحة 171)، وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى أن المتكلم يسعى إلى توجيه الخطاب توجيهًا مقصودًا بغية إقامة نمط حجاجي استدلالي مقنع أمام الطرف المقابل، مما يؤثر في طبيعة الأدوات اللغوية، والروابط الحجاجية، والأساليب الفنية المستخدمة في ذلك الخطاب.

---

[1] لقد حدّد الباحث في هذه الدراسة مجال البحث فيما يخص مسألة الحجاج بنظرية الحجاج اللغوي عند (ديكرو) تحديداً، تمييزاً لها عن الحجاج المنطقي الذي نشأ في بداياته عند فلاسفة اليونان كأرسطو مثلاً، ومن الجدير بالذكر إلى أنّ نظريات الحجاج وآليات تناوله تتعدد وتتفرع بحسب المنطلقات الفلسفية والموضوعية التي يصدر عنها كل باحث في تناوله لهذه النظرية، فالدراسات الحجاجية قامت على إسهامات كثير من العلماء في النصف الثاني من القرن العشرين انطلاقاً من أعمال (برلمان)، و(تيتايكا)، و(تولمان)، و(همبلان)، و(غرايزر) وغيرهم. انظر: شارودو، باتريك؛ منغونو، دومينو: معجم تحليل الخطاب. ص68. ويرى الباحث أن أفضل من كتب في هذا المجال عربياً هو محمد طروس في كتابه "النظرية الحجاج، من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية"؟ ط1. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة. 2006م. وانظر: صولة، عبد الله: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. ط2. بيروت: دار الفارابي. 2007م. ص20-ص39.

[2] تتمثل نقطة الالتقاء النظري بين نظرية الحجاج اللغوي ونظرية الأفعال الكلامية من مبدأ أن اللغة تحقق أعمالاً لغوية ذات قوة إنجازية ولا يقتصر عملها على وصف الأشياء في العالم أو تمثيل الواقع.

[3] يشار كذلك إلى جهود (جان كلود أنسكومبر/ Jean Claude Anscombre) في إرساء معالم هذه النظرية مع (ديكرو). انظر: لونجي، جوليان؛ سرفاتي، جورج: قاموس التداولية. ترجمة: لطفي السيد منصور. ط1. بيروت: دار الرافدين. 2020م. ص36.

تقوم نظرية الحجاج اللغوي على دراسة البنية اللغوية من حيث وظيفتها الحجاجية، فاللغة عند (ديكرو) في المقام الأول وظيفتها الأساسية هي الوظيفة الحجاجية، وأما الوظيفة الإخبارية أو الإبلاغية فهي وظيفة ثانوية، وهي لا تدرس أثر الموقف على الكلام، وإنما تهتمّ بدراسة أثر الكلام في الموقف (لونجي، 2020، صفحة 213)، أي أن الوظيفة الحجاجية تحقق أعمالًا لغوية وتؤثر في بنية الواقع وأنها ذات قوة إنجازية، والخطاب، من وجهة النظر هذه، يكتسب حجاجيته من حيث قدرته على أن يفرض على المخاطَب نتيجة محدّدة أو أن يصرفه عنها، وانطلاقًا من هذه المبادئ العامّة التي أسس (ديكرو) نظريته على أساسها، فقد وضع مجموعة من المفاهيم التي تبيّن معالم اشتغال هذه النظرية في التحليل الحجاجي اللغوي للغة، كمفهوم المواضع الحجاجية، والاتجاه الحجاجي، والعلاقة الحجاجية، والسلّم الحجاجي، والقوة الحجاجية والروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية التي سنأتي على بيانها في النموذج التطبيقي.

وتأسيسًا على ما سبق، فإن دراسة الحجاج تتقاطع مع التحليل الناقد للخطاب من حيث مبدأ الفاعلية التأثيرية في الطرف الآخر للفعل اللغوي داخل الخطاب، وبذلك يغدو الحجاج من هذا الجانب فعلًا سلطويًّا، والتحليل الناقد للخطاب يسعى بدوره، من حيث المنطلق المعرفي، إلى الكشف عن إساءة استخدام السلطة في الخطاب ومحاولات إضفاء الشرعية عليه، لذا فإن "عديدًا من الفلاسفة يعدّون الحجاج عملية شرعنة، سواء لإضفاء الشرعية على موقف أو فكرة ما، أم لنزع الشرعية عنها. وبذلك فللشرعنة طريقان: الأول: نزع الشرعية عن مرجعيات مرفوضة، والثاني: إضفاء الشرعية على مرجعيات مرغوبة، فنزع الشرعية يعطي المتحدث مبررًا لما يتخذه من إجراءات وأعمال ضد الطرف الآخر، وإضفاء الشرعية على أقواله وتصرفاته يمنحه مبرراً لما يقول أو يفعل...واستخدام الشرعنة في خطاب النزاع إنما هو صراع سلطوي رمزي بين أطراف النزاع، كل منهم يشرعن لمرجعيته التي يريد إقامتها على أنقاض المرجعيات الأخرى" (الغيلي، 2016، الصفحات 291-292).

وسيكون مدار البحث في هذه الدراسة عن الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية ثم السلم الحجاجي في الخطاب السياسي العباسي، أما **الروابط الحجاجية** فهي "مجموعة متجانسة من العلامات داخل فضاء اللغة...توصف في الخطاب الاستدلالي بكونها عنصرًا في استقراره وتماسكه؛ لكونها تتضمن عددًا من المعاني الوظيفية التي تنتظم في نماذج اصطلح عليها اللغويون بـ (العطف، والظرف، والاستثناء، والشرط، وغيرها من المعاني اللغوية المختلفة" (كروم، 2016، صفحة 38)، وهناك أنماط عديدة لهذه الروابط، فمنها الروابط المُدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأنّ...) وهناك الروابط المُدرجة للنتائج (إذن، لهذا، وبالتالي...)، ثم هناك الروابط التي تدرج حججًا قوية (حتى، بل، لكن، لا سيما...) والروابط التي تدرج حججًا ضعيفة، وأخيرًا هناك روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك...) وروابط التساوق الحجاجي (حتى، لاسيما، الواو، الفاء...) (العزاوي، 2006، صفحة 30)، وتتمثل أهمية الروابط الحجاجية في كونها تعمل على "توجيه الخطاب وجهة ما تمكّنه من تحقيق أهدافه الحجاجية بناء على درجات التفاعل بين الباث والمتلقّي. فغرض الروابط الحجاجية ليس فقط وصل السلاسل اللفظية بعضها ببعض، بل لها دور أساس في تقوية الحجة وبناء طاقات استدلالها" (كروم، 2016، صفحة 39).

أما **العامل الحجاجي** فهو يعمل "على تكثيف المكونات الحجاجية وتقييدها لنصّ ما والربط بين وحدتين دلاليتين داخل الملفوظ اللغويّ الواحد" (حسين و الخفاجي، 2021)، وهو كذلك "صريفة [مورفيم] إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معين، يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ" (رشيد، 2005، صفحة 235)، و"التحويل الذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي للملفوظ الذي يرد فيه لا يكون مستمدًا من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل، وإنَّما يستمد في وظيفته التحويلية الحجاجية الخالصة، فهو لا يضيف مضمونًا خبريًا، وإنّما غاية ما يحدثه هو شحن وتحويل المضمون الخبري القائم وزيادة طاقته الحجاجية في التوجه نحو نتيجة حجاجية ما؛ ليؤدي وظيفة تتلاءم مع الإستراتيجية الحجاجية للمتلفظ" (زحاف، 2019، صفحة 180). ومن أهم العوامل في اللغة العربية "نجد النفي والاستثناء المفرّغ والشرط والجزاء وما إلى ذلك مما يغيّر قوة الجملة دون محتواها الخبري" (المبخوت، د.ت، صفحة 377).

وتتمثل أهمية العامل الحجاجي في حصر الإمكانات والخيارات التي قد يتيحها منطق اللغة فيما لو لم يكن في القول أو الجملة عامل حجاجي ما، وبالتالي توجيه المخاطَب نحو نتيجة محدد يرومها المخاطِب في خطابه، ويتجلى الفرق بين الروابط والعوامل الحجاجية[4] من حيث الناحية الوظيفية لكل منهما، فالروابط تربط بين حجتين...أما العوامل الحجاجية فهي...تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما (العزاوي، 2006، صفحة 27)، ويمكن القول إن الروابط تختص بالربط بين القضيتين البسيطتين

[4] من الباحثين من يميل إلى عدم وجود أي فرق بين مفهومي الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، بل هما مصطلحان يشيران إلى مفهوم واحد. للمزيد حول ذلك انظر: الناجح، عز الدين: العوامل الحجاجية في اللغة العربية. ط1. تونس: مكتبة علاء الدين. 2011م. ص24. ويرى الباحث أن موضوع البحث في الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية يحتاج إلى مزيد من البحث والدرس خاصة مع الخلط المفهومي لدى الدارسين بين هذين المصطلحين من جهة، والأخطاء المنهجية التي ظهرت في بعض الدراسات في مستوى التنظير والتطبيق من جهة أخرى، لذا يجب العودة إلى المظانّ الأصلية التي ورد فيها هذا المصطلحان لدى منظري الحجاج اللغوي تحديداً، من أجل الوصول إلى أحكام علمية دقيقة حول هذين المصطلحين.

لتصبحا قضية كبرى، في حين أن العوامل مختصة بالقضية الصغرى (الناجح، 2011، صفحة 23). إن دور العامل الحجاجي يتمثل في الوقوف على "دلالة الخطاب انطلاقًا من المظاهر اللغوية القابلة للصياغة على أساس التوجهات والتعليمات التي توفرها أبنية اللغة للقائل حتى يوجه خطابه وجهة ما" (المبخوت، د.ت، صفحة 359).

أما **السلم الحجاجي** فيعرف على أنه عملية تراتبية للحجج بحسب قوتها وفاعليتها الإقناعية، فالمرسل، غالبًا، يسعى إلى ترتيب حججه سُلميًّا في حال كانت تلك الحجج متفاوتة من حيث قوتها وإقناعيتها، حيث يلجأ إلى السلم الحجاجي المتدرج لسردها أمام المتلقي من أجل الوصول إلى نتيجة محددة مقصودة لذاتها، و"تكمن أهمية نظرية السلالم الحجاجية أساسًا في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيّز المحتوى الخبريّ للقول، وهذا يعني أن القيمة الحجاجية لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب لأنها لا تخضع لشروط الصدق المنطقي" (المبخوت، د.ت، صفحة 370)، إن هذه الجزئية تحديداً تبيّن أن الحجج في السلم الحجاجي التي تنتمي، بطبيعة الحال، تحت إطار قسم حجاجي محدد لا يمكن الحكم عليها بمدى مطابقتها للواقع من عدمه، أو بعبارة أخرى لا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، إذ إن منتج الخطاب يسوق تلك الحجج وفق توجيه حجاجي محدد لتفضي إلى نتيجة يقصدها لذاتها، بغض النظر عن مدى صدق تلك الحجج، "فالحكم على المحاجّة أساسه القوة والضعف اعتبارًا لطابع التدرّج فيها لا الصدق والكذب" (المبخوت، د.ت، صفحة 370)، وبناء عليه، يبرز ذلك السلطة التي يتمتع بها منتج الخطاب في أثناء سوق الحجج، فهو يهدف بوساطة السلم الحجاجي إلى إقناع المخاطَب واستمالته وتعديل سلوكه والتأثير فيه.

يقوم السلم الحجاجي على مبدأين اثنين؛ أولهما أن كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الأعلى جميع الأقوال الأخرى، كما أنّ كل قول في السلم كان دليلًا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلًا أقوى (عبد الرحمن، 2007، صفحة 105)، على أن تقع هذه الحجج في القسم الحجاجي نفسه، أي أن يكون بينها "علاقة حجاجية" التي تشير بدورها إلى العلاقات الدلالية التي تربط بين الأقوال للوصول إلى نتيجة محددة، سواء أكانت النتيجة مصرح بها أم ضمنية (المبخوت، د.ت، صفحة 363). ويتم تمثيل شكل السلم الحجاجي على النحو الآتي:

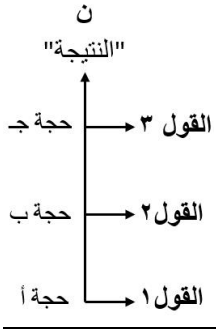

النموذج التطبيقي:

إن هدف هذه المباحثة هو الوقوف على الاستراتيجيات والآليات الحجاجية في الخطاب السياسي العباسي والكشف عن دورها الحجاجي في الخطاب، وسيتم تطبيق ذلك على الخطبة التي ألقاها أبو جعفر المنصور بعد قتله لأبي مسلم الخراساني سعيًا إلى الكشف عن دور اللغة في إرساء الهيمنة وإساءة استخدام السلطة، والآلية التي يتم من خلالها تضافر الروابط والعوامل الحجاجية والسلّم الحجاجي في إضفاء الشرعية على الخطاب وما ينتج عنه.

وقد ألقى أبو جعفر المنصور هذه الخطبة يوم أن قتل أبا مسلم الخراساني ذلك القائد الذي حمل على عاتقه نشر دعوة بني العباس، فأخمد الثورات، وأخضع رؤساء القبائل لمبايعتهم، ومكّن لحكم الدولة العباسية في خراسان والعراق، وكان له دور محوريّ في رسم السياسية العباسية حتى زاحمت مكانته بين الناس مكانة الخليفة، وهو الأمر الذي أوغر صدر أبي جعفر المنصور، فخطّط لقتله والقضاء على شيعته وتشتيت شملهم خوفاً من تشكّل كتلة سياسية قد تطيحه يومًا ما عن سدّة الحكم، وتبينّ المصادر التاريخية أن العلاقة بين المنصور وأبي مسلم لم تكن على وفاق تامّ، فظلّ المنصور يراوغ أبا مسلم مستخدمًا ليّن الكلام في رسائله حتى أمنه أبو مسلم فمشى نحو المدائن حيث كان المنصور فقُتل هناك.

وما من شكّ، في ظلّ هذا الحدث الخطير، أن المنصور قد وقع في حرج شديد أمام ولاته وأمراء جيشه وعامة الناس، فكيف يأتمن الواحد فيهم على نفسه وقد قتل المنصور أوفى قائد عسكريّ نافح عن دولة بني العباس ضد خصومهم، فكان هذا السبب هو الذي دعا المنصور إلى إلقاء خطبة يسوّغ فيها قتل أبي مسلم، ويبيّن الأسباب التي دعته إلى ذلك مستخدمًا إستراتيجيات وآليات حجاجية سعى بوساطته إلى إقناع المتلقي بشرعية ما فعله ضد أبي مسلم حتى لا يعترض عليه أحد. جاء في الخطبة:

"أَيُّهَا الناس، لا تنفّروا أطيار النعم بترك الشكر، فتحل بكم النقم، وَلَا تُسِرُّوا غِشَّ الْأَئِمَّةِ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يُسِرُّ مِنْكُمْ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ، وَطَوَالِعِ نَظَرِهِ. وَإِنَّا لَنْ نَجْهَلَ حُقُوقَكُمْ مَا عَرَفْتُمْ حَقَّنَا، وَلَا نَنْسَى الْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ مَا ذَكَرْتُمْ فَضْلَنَا، وَمَنْ نَازَعَنَا هذا القميص أوطأنا أم رأسه، حتى يستقيم رجالكم، وترتدع عمالكم.

وإن هذا الغمر أَبَا مُسْلِمٍ بَايَعَ عَلَى أَنَّهُ مَنْ نَكَثَ بيعتنا وأظهر غشنا فقد أباحنا دمه، فنكث وَغَدَرَ وَفَجَرَ وَكَفَرَ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لِأَنْفُسِنَا حُكْمَهُ عَلَى غَيْرِهِ لَنَا، وَإِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ أَحْسَنَ مبتديًا وأساء منتهيًا، وأخذ من الناس بنا لنفسه أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَانَا. وَرَجَحَ قَبِيحُ بَاطِنِهِ عَلَى حُسْنِ ظَاهِرِهِ، وَعَلِمْنَا مِنْ خُبْثِ سَرِيرَتِهِ وَفَسَادِ نِيَّتِهِ مَا لَوْ عَلِمَ اللَّائِمُ لَنَا فِيهِ لما لام، ولو اطلع على ما أطلعنا عليه منه لَعَذَرَنَا فِي قَتْلِهِ، وَعَنَّفَنَا فِي إِمْهَالِهِ، وَمَا زَالَ يَنْقُضُ بَيْعَتَهُ وَيَخْفِرُ ذِمَّتَهُ حَتَّى أَحَلَّ لَنَا عُقُوبَتَهُ وَأَبَاحَنَا دَمَهُ، فَحَكَمْنَا فِيهِ حُكْمَهُ فِي غيره ممن شق العصا، وَلَمْ يَمْنَعْنَا الْحَقُّ لَهُ مِنْ إِمْضَاءِ الْحَقِّ فِيهِ." (ابن كثير، 1988، صفحة 76، جزء 10)

تندرج هذه الخطبة تحت إطار ما يسمى بـ"**الحجاج التقويمي**" حيث يكون خطاب المرسل حجاجًا على خطاب الطرف الآخر المتلقي بغية الردّ على أيّ دعاوى أو اعتراضات قد يُواجَه بها، ويراعي المرسل في هذه الحالة مسألة الإقناع فيبني حججه في الخطاب بناء على ما يتوقّعه من حجج الطرف الآخر ضد قضية محددة، فيفنّدها ويردّ عليها إما بالتصريح أو التلميح، وتسمى هذه العملية "الحوار الضمني" وغرضه قطع الشكّ المتوقَّع من المرسل إليه (الشهري، 2004، صفحة 473)، ويبدو جليًّا من خلال الخطبة أن تبرّماً قد وقع من العامة والخاصّة على هذا الفعل، ودليل ذلك أن المنصور أقام حوارًا متخيلًا في خطبته أمام المعترضين، ففنّد حججهم وأقام الحجّة على اعتراضاتهم مستخدمًا بذلك ما يتيحه النظام اللغوي من الروابط والعوامل الحجاج في عملية أثناء عملية الإقناع وتوجيهها نحو مقصد معين، وتسمى هذه العملية بـ"الوجهة الحجاجية".

استهلّ المنصور خطبته هذه بالنداء الذي يحمل في طبيعته قيمة التنبيه ولفت النظر إلى ما سيُقال بعده، ولم يبدأ المنصور في كلامه عن حادثة قتل أبي مسلم مباشرة، وإنما عمد إلى مقدمة حاول من خلالها استثارة مشاعر المستمعين وعواطفهم موظّفًا الاستعارة لإيصال رسالته، ذلك أن الاستعارة تزيد من درجة التأثير في المتلقي لعمق التخييل الناتج عنها، فالنعم يشبهها بالأطيار التي تنفر بسبب ترك الشكر، فإذا طارت حلّت النقم مكانها، وتتمثل حجاجية الاستعارة هذه في أنها انتقلت بالكلام من الدائرة المجرّدة إلى المعنى الحسي التجريبي الذي يُدرك بوساطة الحواس من أجل استمالة النفس والتأثير في المتلقي، وهي في هذا القول تحمل تهديدًا مبطّنًا للمتلقي، فمخالفة أمر الحاكم هو عدم شكر، وعدم الشكر يبعد النعم ويحل النقم، ومن النقم القتل، وهو ما حصل مع أبي مسلم الخراساني.

إنّ الاستعارة آلية حجاجية بامتياز وأداة استدلال حجاجية تدعم الوجهة الحجاجية في الخطاب، وهي من الوسائل اللغوية التي يعتمدها المتكلم للوصول إلى غاياته الحجاجية، وأداة مهمة من أدوات الإقناع والإذعان، إذ إنها تعمق المعنى وتقرّب الصورة الأمر الذي يؤثر في المتلقّي بشكل ما، فـ"الصورة المجازية تتنوع وظائفها داخل القول الحجاجي والعمليات الاستدلالية حسب الأهداف المتوخّاة من استعمالها...فمنها ما هو متعلّق بالمتكلم...ومنها ما هو متعلق بالسامع كتحريك مخيلته، ومنها ما هو متعلّق بالمقام أو الواقع الخارجي كإبداع صورة جديدة لمعالجة بعض القضايا والوقائع" (عشير، 2006، صفحة 122)، وهذا ما يُلحظ في عبارة المنصور، إذ أبدع في إيجاد صورة تخييلية تعبّر عن مدى سخطه لما وقع من غدر أبي مسلم الخراساني وخيانته للأمانة من وجهة نظره.

وقد تضافرت في هذه الخطبة عدد من الروابط الحجاجية التي نظّمت عملية ترابط الحجج فيها، ومن تلك الروابط: **الرابط الحجاجي (الواو العاطفة)** الذي يقوم بدور الجمع بين الحجج، حيث يندرج تحت إطار الروابط المُدرجة للحجج، ولا يقتصر دور هذا الرابط في مسألة إدراج الحجج فحسب، بل إنه يقوي الحجج ويضعها في سياق واحد لتدعيم النتيجة المقصودة التي يرومها المخاطِب، وهي من جانب آخر تشي بالتسلسل والتتابع في أثناء سوق الحجج، وقد ورد هذا الرابط؛ أي (الواو) في خطبة المنصور بكثرة قياسًا إلى باقي أنواع الروابط الحجاجية، ومما ورد في الخطبة قول المنصور عن أبي مسلم الخراساني: "فنكثَ وغدرَ وفجرَ وكفر"، حيث تتمثل حجاجية الرابط الحجاجي (الواو) هنا في مسألة سوق الحجج للوصول إلى نتيجة محدّدة، وكذلك التتابع الذي استخدمه المنصور كإستراتيجية حجاجية للوصول إلى النتيجة التي يقصدها من هذا القول، فهو يشير بداية إلى أن أبا مسلم الخراساني قد نكث البيعة التي أعطاها للخليفة، إلا أن المنصور يبيّن أن أبا مسلم لم يقف عند هذا الحدّ، بل فعل أمورًا أوجبت عليه القتل، وإلا لو بقي الأمر على نكث البيعة لربما خلّا سبيله، ولذلك أدرج حجة أخرى أقوى من سابقتها وهي الغدر، والغدر فيه أذية للطرف الآخر، ثم يسوق حجة ثالثة وهي الفجور، بما تحمله هذه اللفظة من قيمة دينية تتمثل في كونها آية من آيات المنافقين، ثم يخلع عليه صفة الكفر، وبهذا أخرج المنصور أبا مسلم من دائرة الإسلام فكأنما ارتدّ عنه، وبناء على كل ذلك استحق القتل من وجهة نظره.

وورد كذلك **الرابط الحجاجي (الفاء)** وهو من الروابط الحجاجية الذي يفيد إدراج الحجج والربط فيما بينها حين تكون عاطفة، فيفيد التسلسل والتتابع والترتيب في سوق الحجج وهو بهذا يشبه عمل الرابط الحجاجي (الواو العاطفة)، وفي المقابل هناك السببية التي تتوسط بين السبب والنتيجة حيث تأتي في هذا السياق لغرض التعليل أو التفسير، من ذلك ما ورد في الخطبة قوله: "أيها الناس، لا تنفّروا أطيار النعم بترك الشكر، فتحلّ بكم النقم"، فالمنصور في هذا القول يبيّن أن ترك الشكر يؤدي إلى ذهاب النعم، وذهاب النعم

يؤدي بالضرورة إلى حلول النقم، وقد شكّل هذا القول الذي أورده المنصور في خطبته حجة من الحجج التي ساقها ليسوّغ قتل أبي مسلم الخراساني، فأبو مسلم، من وجهة نظر المنصور، أحد الذين تركوا الشكر، فرُفعت النعمة عنه، مما أدى إلى نزول النقمة عليه، وهي القتل على يد أبي جعفر المنصور.

كذلك ورد **الرابط الحجاجي (حتى)** وهو من الروابط الحجاجية التي تقع بين قولين أو أكثر بحيث تشترك هذه الحجج في وجهة حجاجية واحدة وتخدم نتيجة واحدة، فهي تعمل على تعزيز حجاجية القول، وتعدّ من الروابط المُدرجة للحجج، ومن ذلك ما جاء في الخطبة: "وما زال ينقض بيعته ويخفر ذمته حتى أحلّ لنا عقوبته وأباحنا دمه"، لقد استعمل المنصور الرابط الحجاجي (حتى) ليدعّم الحجج التي تسوغ فعلته ضد أبي مسلم الخراساني، فقد بدأ قوله بالفعل (ما زال) الذي يفيد معنى الاستمرار حتى زمن الإخبار، ليبين المنصور أن الخراساني كان مستمرًا في نقض البيعة وخفر الذمة ولم يرتدع أو يتب عن ذلك، حتى وصل المنصور إلى أقصى غاية التحمّل؛ ذلك أن (حتى) تحمل في فحواها معنى الغاية، ثم أتى المنصور بعد هذا الرابط الحجاجي بحجة أقوى (العزاوي، 2006، صفحة 73) مما قبلها رغم أنها مرتبطة بها تسوّغ ما فعله به من القتل، وهو أن أبا مسلم بنقض البيعة وخفر الذمة أحل للخليفة أن يعاقبه ويبيح دمه، وهذه الحجة أقوى من سابقتها في تسويغ فعل القتل، فأبو مسلم هو من أباح قتل نفسه بسبب غدره ونقض بيعته للمنصور، ولم يكن الأمر من المنصور نفسه، فالمنصور بهذا يدفع التهمة والحرج عن نفسه من جهة، ويشرعن قتل أبي مسلم الخراساني من جهة أخرى بواسطة سوق حجج يربط بينها الرابط الحجاجي (حتى) حيث كانت ترسم المسار نحو وجهة حجاجية محددة وهي تسويغ واقعة القتل.

كذلك ورد **الرابط الحجاجي (إنّ)** الذي يأتي بغرض التوكيد وإزالة الشك عن الكلام مما يؤدي إلى الإقناع والإذعان، وتتمثل حجاجية هذا الرابط في زيادة قوة القول وتمكينه في النفس وقطع الشك باليقين وحتى لا يكون هناك أي محلّ للنزاع أو الإنكار أو الردّ أو المعارضة من الطرف الآخر، إضافة إلى أن التوكيد يحمل في حقيقته عمل لغويّ مؤدّاه "أنا أؤكّد" (صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، 2007، صفحة 284)، وهذا من شانه أن يبرز موقع المتكلم صاحب السلطة أمام الآخر المتلقي الأضعف في الخطبة خاصة أن التوكيد يحمل في فحواه موقفًا اعتقاديًا (Modality) فحواه "أنا متحقق كون كذا هو كذا" (صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، 2007، صفحة 302)، ويُفضي ذلك إلى أن مقتضى القول معلومة لا جدال ولا مراء فيها (صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، 2007، صفحة 305)، وينشأ بوساطة التوكيد نوع من الحوارية بين المرسل والمتلقي سواء أكان متلقيًا حقيقيًا أم افتراضيًا، فمنتج الخطاب يحاول، في أثناء عملية إنتاج الخطاب، حصر الاعتراضات وتحديدها التي من الممكن أن يسوقها المتلقي للرد عليه، فيقوم منتج الخطاب بالرد عليها ضمنياً في خطابه من خلال التوكيد إذا استدعى موضوع الخطاب ذلك، وهذا يجعل من التوكيد "عمل كلامي يأتيه المتكلم فيجعل عمل الخصم الكلامي يسير في الاتجاه الذي يرسمه له ذلك المتكلم" (صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، 2007، صفحة 286). ومما ورد في الخطبة: "ولا تُسرّوا غشّ الأئمة، فإنّ أحدا لا يُسرُّ منكم شيئًا إلا ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه، وطوالع نظره"، حيث ربط المنصور بين النتيجة في قوله: "ولا تسروا غش الأئمة"، والحجة: " فإنّ أحدا لا يُسرُّ منكم شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه، وصفحات وجهه، وطوالع نظره"، فالمنصور يوجّه العناية في حديثه نحو عدم إسرار الغش للإمام لأنه سينكشف، وحجّته في ذلك أن هذا الغش يظهر في فلتات اللسان، وصفحات الوجه، وطوالع النظر، وهذا، على التأكيد، سيؤدي إلى العقاب الوخيم مثلما حصل مع أبي مسلم الخراساني حينما انكشف غشه وخداعه من وجهة نظر المنصور، وإيراد هذه المقولة بهذه الصيغة والتوجيه الحجاجي الذي احتملته أدى إلى شرعنة فعل القتل ضد أبي مسلم الخراساني، كما أدى إلى تبكيت الآخرين وإبطال قدرتهم على الإنكار والمعارضة.

وبعد الحديث عن بعض الروابط الحجاجية في خطبة المنصور وأثرها في شرعنة قتل أبي مسلم، سينتقل الباحث للحديث عن بعض **العوامل الحجاجية** المبثوثة فيها، وسيقتصر الحديث في هذه المباحثة على عاملي الشرط والنفي فقط، أما **الشرط** فهو من الأساليب اللغوية التي تنبني على وجود تلازم بين جزأين؛ فعل الشرط وجزائه، بوساطة أداة شرط، وأن الجزاء يترتب وقوعه على وقوع فعل الشرط، وتتمثل أهمية أسلوب الشرط حجاجيًا في توجيه "المتلقي نحو نتيجة محدّدة واضحة لا لَبس فيها، وهي غير قابلة للاستلزامات المتعددة، ويكون المتلقي في هذه الحالة مُدركًا للمقصد والمطلوب منه، وهو غاية فكرة الحجاج أي توجيه المتلقي إلى فهم المقصد وعدم تشتيت ذهنه بالكلام الغامض (ناصح و الحسيناوي، 2018، صفحة 83)، ومما ورد في الخطبة قول المنصور: "من نازعنا هذا القميص أوطأنا أم رأسه"، تشير هذه العبارة الشرطية إلى وجود تلازم بين الحجة "نازعنا هذا القميص" والنتيجة "أوطأنا أمّ رأسه"، وقد حدّد المنصور بوساطة أسلوب الشرط الوجهة الحجاجية التي يريد أن يصل إليها من خلال النتيجة الموجودة في العبارة، ذلك أنّ الشرط، كما أسلف الباحث، يحدد مسار الكلام نحو نتيجة محددة واستبعاد أي نتيجة أخرى قد يستنتجها المتلقي أو تخطر في خلده فيما لو لم يكن الشرط حاضراً في الكلام، والشكل الآتي يوضح ذلك:

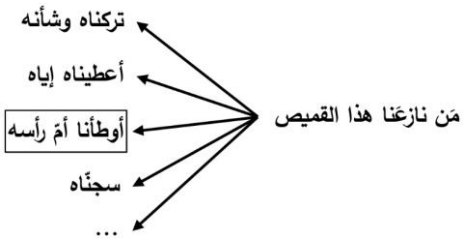

يُلحظ من خلال الشكل أعلاه أن هناك مجموعة من الاحتمالات التي قد ترد في خلد المتلقي في أثناء سماع فعل الشرط، ولكن منتج الخطاب لم يترك المجال لذلك، فحدد الوجهة الحجاجية في الجملة نحو احتمال وحيد مقصود لذاته في هذا القول، وقد ربط المنصور مسألة العقوبة "أوطأنا أُمّ رأسه" بمن ينازع في مسألة الخلافة، وهذا يحمل في مضمونه تهديدًا مبطّنًا إلى المتلقي في أنّ من يحاول منازعة المنصور في أمر الخلافة فالسيف له بالمرصاد، ومن ناحية أخرى، فإن هذه المقولة تحمل في مضمونها استلزامًا مفاده أن سبب قتل أبي مسلم هو منازعته للخليفة على منصبه[5].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن منتج الخطاب قد وظّف الشرط في خطابه بغية تحديد المسالك الخطابية التي تبين توجيه ذهن المخاطَب نحو وجهة محددة، ومسألة تحديد نتيجة معينة وتوجيه الحجاج نحوها في القول الشرطي، في بعض السياقات، كما هو جليّ في المثال أعلاه، يشير في فحواه إلى مركزية منتج الخطاب وسلطته من جهة، وهامشية المتلقي وسلبيته من جهة أخرى، كما أن المنصور بوساطة استخدام أسلوب الشرط، قام بشرعنة وتسويغ قتله لأبي مسلم الخراساني، بل وأي أحد آخر سيحذو حذوه مستقبلًا، وستكتفي الدراسة بهذا المثال لبيان حجاجية أسلوب الشرط في خطبة المنصور.

وأما **النفي** فهو أسلوب لغوي قائم على السلب على حدّ تعبير القدماء، والسلب يعني إنكار وقوع فعل أو صفة أو جحد دعوى، ومما يجدر الإشارة إليه، ويتعلق بصميم هذه المباحثة، أن "النفي يدلّ على تعدّد الأصوات؛ إذ يسمح للمتكلم بالتعبير المتزامن عن الصوتين المتقابلين؛ الصوت الذي يتبنى جانب الإثبات، وصوت المتكلم المتبنّي للنفي، فالنفي يشير إلى إثبات ضمني" (فضل، 1992، صفحة 94)، وهو كذلك "آلية حجاجية تقصد الإقناع وترسم مسافة فاصلة لبيان المواقف المتباينة أو المتعارضة ليدحض في آخر المطاف حكمًا ويثبت آخر" (زحاف، 2019، صفحة 186)، وهو أيضًا "ردّ على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير" (صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، د.ت، صفحة 320)، ولا يمكن إدراك حجاجية النفي في أي قول إلا من خلال معرفة النتيجة التي يقصدها منتج الخطاب من كلامه (الناجح، 2011، صفحة 50).

ومن أمثلة ذلك ما ورد في خطبة المنصور قوله: "وإنا لن نجهل حقوقكم ما عرفتم حقّنا، ولا ننسى الإحسان إليكم ما ذكرتم فضلنا"، فالمنصور يسوق هذا الكلام بعد قتل أبي مسلم الخراساني موجّهًا حديثه إلى المتلقين، ودعوى هذا الكلام أنه لما قتل المنصور أقرب قائد عسكري إلى بني العباس وأكثرهم إخلاصًا لدعوتهم، وصاحب الحظوة والمكانة لديهم، رأى أن يبيّن للناس الأمور التي سوّغت له قتله، فقام بطمأنتهم وهدّأ من روعهم حتى لا تنقلب الأمور ضدّه، فتوجه بالخطاب لهم يبين أنه لن يجهل حقوقهم؛ أي لن يجحدها أو ينكرها، ولا ينسى الإحسان إليهم، وكأنه بذلك يردّ على تلك الأصوات التي ظنّت ساعتها أن المنصور سيفتك بهم مثلما فعل بأبي مسلم، لكنه لم يترك النفي مرسلًا، بل علق وقوع المحتوى القضوي المنفيّ بوجود ما المصدرية الزمانية، فيصير المعنى (لن نجهل حقوقكم مدة معرفتكم لحقنا، ولا ننسى الإحسان إليكم مدة ذكركم فضلنا)، فوجود (ما) الظرفية الزمانية قيّد النفي بمحدد ظرفي زماني، فإذا ما انتفت الظرفية الزمانية انقلب النفي إلى ضده، مثلما حصل مع أبي مسلم، فلما جهل أبو مسلم حق المنصور بالخلافة، ونسي فضله، استحق بذلك القتل. وبناء على ذلك، فقد أدى استخدام أسلوب النفي إلى توجيه الحجاج نحو نتيجة محددة مفادها أن المنصور في خطابه يشرعن لفعل القتل الذي قام به ضد أبي مسلم، ويُفهم، ضمنيًّا، من كلامه أن من أنكر وجهل حق بني العباس وفضلهم، فقد أوجب ذلك جهل حقه من الحماية والعناية والإحسان، ومن ثم استحقاق نزول العقوبة عليه.

أما **السلم الحجاجي**، فقد استخدم المنصور هذه التقنية الحجاجية في سبيل تدعيم موقفه وتسويغ فعلته بعد أن قتل أبا مسلم الخراساني، حيث قام بسوْق جملة من الحجج التي تقع في إطار علاقة حجاجية واحد وقسم حجاجي واحد من أجل الوصول إلى نتيجة محددة وهي تسويغ قتل أبي مسلم، ومن ذلك قوله: " وَإِنَّ أَبَا مُسْلِمٍ أَحْسَنَ مبتديًا وأساء منتهيًا، وأخذ من الناس بنا لنفسه أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَانَا. وَرَجَحَ قَبِيحُ بَاطِنِهِ عَلَى حُسْنِ ظَاهِرِهِ، وَعَلِمْنَا مِنْ خُبْثِ سَرِيرَتِهِ وَفَسَادِ نِيَّتِهِ مَا لَوْ عَلِمَ اللَّائِمُ لَنَا فِيهِ لما لام، ولو اطلع على ما أطلعنا عليه منه لَعَذَرَنَا فِي قَتْلِهِ، وَعَنَّفَنَا فِي إِمْهَالِهِ، وَمَا زَالَ يَنْقُضُ بَيْعَتَهُ وَيَخْفِرُ ذِمَّتَهُ حَتَّى أَحَلَّ لَنَا عُقُوبَتَهُ وَأَبَاحَنَا دَمَهُ، فَحَكَمْنَا فِيهِ حُكْمَهُ في غيره ممن شق العصا، وَلَمْ يَمْنَعْنَا الْحَقُّ لَهُ مِنْ إِمْضَاءِ الْحَقِّ فِيهِ".

[5] أشارت المصادر التاريخية إلى أسباب تخوّف أبي جعفر المنصور من أبي مسلم الخراساني والمسوغات التي أدّت إلى قتل أبي مسلم من وجهة نظر العباس. وللمزيد حول هذه المسألة انظر: فوزي، فاروق عمر: العباسيون الأوائل. ط1. عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. 2003م. ج1. ص77-78.

والشكل الآتي يبين ذلك:

يتضمّن هذا السلّم الحجاجي مجموعة من الحجج التي ترتقي من أدنى السلم إلى أعلاه نحو نتيجة محددة يرومها منتج الخطاب وهي تسويغ قتل أبي مسلم الخراساني، ويربط بين هذه الحجج رابطين، الأول هو (الواو العاطفة) من الحجة الأولى إلى الخامسة، حيث ساهم هذا الرابط الحجاجي في تسلسل الحجج والجمع بينها وتعزيزها مما زاد من القوة الحجاجية لتلك الحجج بشكل متدرّج، ثم جاء في الحجة السادسة الرابط الحجاجي (حتى) على رأس السلّم الحجاجي، حيث إن الحجة التي تأتي بعد هذا الرابط تكون، بالضرورة، أقوى حجّة في السلّم الحجاجي.

في **الحجة الأولى** أدنى السلم تحدث المنصور عن أن أبا مسلم قد أحسن في بداياته لبني العباس، ولكنه أساء في نهاياته، وهنا استخدم المنصور استراتيجية التلطيف أو التأدّب أمام المتلقين، فلم يبدأ الهجوم على شخص أبي مسلم مباشرة، بل أقرّ بالدور الحسن الذي قام به في بدايات ثورة بني العباس، ولكنه أردف في كلامه بأن أبا مسلم قد أساء في نهاية الأمر حينما خان البيعة، ثم يأتي في **الحجة الثانية** للتشكيك بنزاهته، فأبو مسلم، بحسب قول المنصور، كان يأخذ من الناس الأموال لنفسه باسم بني العباس، ولا يؤدي ما عليه للخليفة، ومقصد المنصور في هذه الحجة هو جرح نزاهة أبي مسلم أمام عامة الناس والسرقة من الأموال من أكثر الأمور التي يعافها الناس، وفي **الحجة الثالثة** يبيّن المنصور أن قبيح باطنه قد رجح على حسن مظهره في إشارة إلى أن أبا مسلم كان يخدع الناس بحسن ظاهره، ويبطن الخبث واللؤم والخديعة، وهذا فيه ردّ ضمني على أي شخص قد يدافع عن حسن سيرة أبي مسلم في الناس، ولا يمكن تجاوز ما أوردناه في الحجج الثلاث دون الحديث عن فعالية الطباق بوصفه محسنًا بديعيًا أدّى دورًا مهمًا في زيادة القوة الحجاجية بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد (الشهري، 2004، صفحة 498).

وفي **الحجة الرابعة** يبيّن المنصور أنه قد تأكّد من خبث سريرة أبي مسلم ومن فساد نيّته، وهو هنا يُشعر المستمع بأن أبا مسلم كان يُضمر الشر للخليفة، وأن شره وخبثه لم يكن ظاهرًا للعيان أو للعامة، وهو بهذا يحاول أن يشرعن فعل القتل من خلال إيهام المستمعين بوجود نيّة خبيثة مضمرة عند أبي مسلم لم تظهر للناس وإنما ظهرت للخليفة نفسه، فاستحقّ بذلك القتل، وفي **الحجّة الخامسة** مسوّغ آخر من مسوغات قتل أبي مسلم ساقه المنصور في هذا القسم الحجاجي وهو أن أبا مسلم نقض البيعة التي أعطاها للخليفة، وقد استخدم الفعل الناقص (ما زال) الذي يفيد استمرار الفعل واتصاله بزمن الإخبار (السامرائي، 2000، صفحة 240، جزء 1)، في إشارة إلى أن أبا مسلم حتى لقائه بالمنصور كان يسعى للإطاحة بالخليفة ونقض بيعته، وفي **الحجة السادسة الأخيرة** يبيّن المنصور أن أبا مسلم قد أحلّ عقوبته وأباح دمه لقاء كل الأعمال التي قام بها والتي ذكرها المنصور في الحجج السابقة، ومصدر قوة هذه الحجة الأخيرة في السلم هو أمران؛ الأول تصديرها بـ (حتى) حيث يأتي بعدها أقوى حجج السلّم، والثاني طبيعة الحجة من الناحية الدلالية حيث يشير المنصور إلى أن الذي أباح دم أبي مسلم هو أبو مسلم نفسه بسبب ما قام به من الأعمال، أي أن المنصور لم يصدر حكمه عليه لحاجة في نفسه وإنما ما حصل هو بسبب ما اقترفه أبو مسلم من نقض البيعة وخبث السريرة، فأباح أبو مسلم دمه بنفسه، وهكذا تدرجت الحجج في هذا السلم الحجاجي حتى وصلت إلى نتيجة محددة وهي حكم أبي جعفر المنصور عليه بالقتل ثم إنفاذ هذا الحكم.

إن براعة المنصور في هذا الخطاب تمثّلت في تدرجه بسوق جُملة من الحجج التي تنتمي إلى قسم حجاجي واحد، ثم توجيه هذه الحجج نحو وجهة محدّدة (Coordination) حيث يكون التوجيه نحو نفس الاتجاه عندما تتضافر حجتان أو أكثر في إثبات النتيجة نفسها وتعزيزها، بحيث تصبح هذه الحجج حججًا متساندة، وكذلك تدرّجه في سوق الحجج تصاعديًّا حتى الوصول إلى الحجة الأقوى، ثم بعد ذلك الوصول إلى النتيجة التي يرومها من خطابه، ومن الجليّ أن هدف هذه الحجج مجتمعة كانت تتمثل في شرعنة واقعة قتل

أبي مسلم، وهذا، من زاوية نظر أخرى، يدل على اهتمام أبي جعفر المنصور بالرأي العام في قصره وبين رعيته، لذا عمل على إيضاح ما حصل من وجهة نظره وبروايته الخاصة.

الخاتمة:

وتخلص الدراسة في هذه الدراسة إلى أن المنصور حاول إضفاء الشرعية على واقعة القتل في خطابه الذي ألقاه بعد قتل أبي مسلم بوساطة استخدام التقنيات الحجاجية المتنوعة كالعوامل الحجاجية والروابط الحجاجية والسلم الحجاجي، التي شكلت بمجموعها نسيجًا خطابيًا حجاجيًا أدى دورًا مهمًا في عملية شرعنة القتل التي تغيّاها المنصور في هذه الخطبة، وبناء عليه، فالباحث يؤكد على أهمية دراسة الحجاج اللغوي من منظور التحليل الناقد للخطاب بغية الكشف عن تمثلات السلطة والهيمنة ودور ذلك في إضفاء الشرعية على الأقوال والأفعال.

وبناءً على النتائج التي خلصت إليها الدراسة فإننا نوصي بما يأتي:

- تسليط الضَّوْء على أحد أنواع الخطاب في تراثنا، وهو الخطاب السياسي، وتبيان أهميته في إضفاء الشرعية السياسية، وبناء الخطاب الحجاجي الموجّه.
- توجيه الباحثين إلى إثراء الدراسات في مجال التحليل الناقد للخطاب، خاصة فيما يتعلق بالخطابة السياسية في التراث العربي.

المراجع:

ابن كثير. (1988). *البداية والنهاية* (الإصدار 1). (علي شيري، المحرر). دار إحياء التراث العربي.

العزاوي، أبو بكر. (2006). *اللغة والحجاج* (الإصدار 1). العمدة في الطبع.

كروم، أحمد. (2016). الروابط الحجاجية وطاقات الاستدلال. *المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 34*(136)، 37 - 70.

الراضي، رشيد. (2005). الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو. *عالم الفكر، 34*(1)، 207 - 247.

زحاف، بسمة. (2019). *آليات الحجاج في "عيون المناظرات" لأبي علي السكوني-دراسة تداولية*. الجزائر: جامعة باتنة-الحاج لخضر.

حمداوي، جميل. (2019). *التداوليات بين النظرية والتطبيق* (الإصدار 1). تطوان: دار الريف.

لونجي، جوليان. (2020). *قاموس التداولية* (الإصدار 1). (لطفي السيد منصور، المترجمون) الرافدين.

جودي، حمدي منصور. (2013). *بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج مقاربة مفاهيمية*. بسكرة: جامعة محمد خيضر.

حسين، سراب سامي ، الخفاجي، نصيف جاسم. (2021). العوامل الحجاجية في كتب مجالس العلماء وأمالهم. *مجلة ديالى، 1*(90)، 1-12.

المبخوت، شكري. (د.ت). نظرية الحجاج في اللغة. تأليف حمادي صمودي، *أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم* (الصفحات 351-385). منشورات كلية الآداب-جامعة منوبة.

حباشة، صابر. (2008). *التداولية والحجاج* (الإصدار 1). صفحات للدراسات والنشر.

فضل، صلاح. (1992). *بلاغة الخطاب وعلم النص*. عالم المعرفة.

طه، عبد الرحمن. (2007). *في أصول الحوار وتجديد علم الكلام* (الإصدار 3). المركز الثقافي العربي.

طه، عبد الرحمن. (1998). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي* (الإصدار 1). المركز الثقافي العربي.

عشير، عبد السلام. (2006). *عندما نتواصل نغير* (الإصدار د.ط). إفريقيا الشرق.

صولة، عبد الله. (2007). *الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية* (الإصدار 2). دار الفارابي.

صولة، عبد الله. (د.ت). الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان. تأليف حمادي صمود، *أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم* (الصفحات 297-350). تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية.

الغيلي، عبد المجيد محمد. (2016). *لغة النزاع في القضايا الدولية* (الإصدار 1). دار نينوى.

الشهري، عبد الهادي. (2004). *إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية* (الإصدار 1). دار الكتاب الجديد المتحدة.

الناجح، عز الدين. (2011). *العوامل الحجاجية في اللغة العربية* (الإصدار 1). مكتبة علاء الدين.

السامرائي، فاضل. (2000). *معاني النحو* (الإصدار 1). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ناصح، كريم، الحسيناوي، ماجد. (2018). الدرس الأصولي في ضوء الحجاج، حجية الشرط انموذجاً. *مجلة الإمام الكاظم للعلوم الإنسانية*(3)، 69-96.